رزق فهرها والعمل بها فهو من العالمين بالله وبامره ولا ريب ان الشيطان موكل ببني
آدم يجري منهم مجرى الدم وقد اعين بما ركب في نفوسهم وجبلت عليه طباعهم
وامتحنوا به من اسباب الشهوة والغضب فلا يمكن حفظ من هذا شانه مع عدوه
من كل الشيطان فيه نصيب وهو له حظ في كل اعمال العبد حتى في صلاته كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يجعل احدكم حظا للشيطان من صلاته يرى ان حقا عليه
ان لا ينصرف الا عن يمينه فاذا كان هذا القدر من حظ الشيطان في صلاة العبد
فما الظن بما هو اعظم من ذلك واكبر وسيل صلى الله عليه وسلم عن الالتفات
في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد واذا لم يمكن حفظ
العبد نفسه من جميع حظوظ الشيطان منه من كان من معرفته وفقهه وتمام توفيقه
ان يدفع حظه الكثير باعطاء حظه الحقير اذا لم يمكن حرمانه الخطين كليهما فاذا
اعطيت النفوس الضعيفة حظا يسيرا من حظه يستجلب به من استجابتها وانقيادها
خير كثير ويدفع به عنها شر كبير اكثر من ذلك الحظ كان هذا من اعين مصلحتها
والنظر لها والشفقة عليها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسرب الجواري
الى عند عايشة يلعبن معها ويمكنها من النظر الى لعب الحبشة وكان مرة بين اصحابه في السفر فامرهم
فتقدموا ثم سابقها فسبقته ثم فعل ذلك مرة اخرى فسابقها فسبقها فقال هذه
بتلك واحتمل صلى الله عليه وسلم ضرب المراة التي نذرت ان نجاه الله ان تضرب
على راسه بالدف لما في اعطايها ذلك الحظ من فرحها به وسرورها بمقدمه
وسلامته الذي هو زيادة في ايمانها ومحبتها لله ورسوله وانبساط نفسها
وانقيادها لما يامر به من الخير العظيم الذي ضرب الدف فيه كقطع سقطت في
بحر وهل الاستعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل الا خاصة الحكمة والعقل
بل يصير ذلك من الحق اذا كان معينا عليه وهذا كان هو الرجل بفرسه
وقوسه وزوجته من الحق لاعانته على الشجاعة والجهاد والعفة والنفوس
لا تنقاد الى الحق الا بباطل طويل فاذا بطلت بشيء من الباطل لتبذل به حقا
وجوده انفع لها وخير من فوات ذلك الباطل كان هذا من تمام تربيتها
وتكميلها فليتامل اللبيب هذا الموضع حق التامل فانه نافع جدا والله اعلم

فصل قال صاحب الغناء وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم الى تحسين
الصوت بالقرآن فروي عنه البراء بن عازب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن

يزيد القرآن حسنا وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لكل شيء حلية
وحلية القرآن الصوت الحسن وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منا
من لم يتغن بالقرآن وقد قال الامام احمد في تفسيره يحسنه بصوته ما استطاع
وقال الشافعي نحن اعلم بهذا من سفيان ينكر عليه قوله ليستغني به وانما هو تحسين
الصوت وقال صلى الله عليه وسلم لله اشد اذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن
من صاحب القينة الى قينته فاذا ندب الى تحسين الصوت بالقرآن والتغني به جاز
ان يحسن الصوت بالشعر ويتغنى به واي حرج في تحسين الصوت بالشعر قال
صاحب القرآن هذه الادلة انما تدل على فضل الصوت الحسن بكتاب الله لا على
فضل الصوت الحسن بالغناء الذي هو مزمور الشيطان ومن قاس هذا بهذا وشبه
احدهما بالاخر فقد شبه الباطل بالحق وقاس قرآن الشيطان على كتاب الرحمن وعلى
هذا الا نظير من يقول اذا امر الله بالقتال في سبيله بالسيف والرمح والنشاب قول
دل ذلك على فضيلة الطعن والضرب والرمي ثم يحتج بذلك على جواز الضرب والطعن
والرمي في غير سبيل الله بل على استحبابه ونظير من قال اذا امر الله بانفاق
المال في سبيله دل ـــ على فضيلة المال ثم يحتج بذلك على جواز انفاق المال
او استحبابه في غير سبيل ونظيره قول من يقول اذا امر الله بالاستعفاف بالنكاح
دل على فضيلة النساء ثم يحتج بذلك على جواز ما امر به من ذلك وكذلك
كل ما يعين على طاعة الله ومحابه ومراضيه ولا يدل ذلك على انه في نفسه محمود
على الاطلاق حتى يحتج على انه محمود حال كونه معينا على غير طاعة الله من البدع
والفجور والمعاصي اذا ثبت هذا فتحسين الصوت وندب اليه وحمد الصوت
الحسن لما تضمنه من الاعانة على ما يحبه الله من سماع القرآن وتحصيل به من
تنفيذ معانيه الى القلوب ما يزيدها ايمانا ويقربها الى ربها ويدنيها
من محابه فالصوت الحسن من هذا ينفذ حقايق النفاق والفجور والفسوق
الى القلب وهذا يظهر في الافعال وعلى اللسان فالسماع الشيطاني الذي يتقرب
به اهله الى الله ينفذ الصوت الحسن فيه حقايق النفاق الى القلب والسمع
الاخر الذي يعده اهله لهو ولعبا ينفذ الصوت الله ورسوله من شهوات
الفسوق الى القلب فالاعتبار بحقايق المسموع والصوت الحسن الة ومنفذ

فصل وقوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن اما ان يريد
به الحض على اصل الفعل وهو نفس التغني به او على صفته وهو ان يكون
تغنيه اذا تغنى به لا بغيره وهذا نظير ما حمل عليه قوله تعالى وان احكم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)